



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية / الدراسات الأولية / المرحلة الرابعة

المادة: علم اللغة

المحاضرة 1 : تاريخ الدرس اللساني وتطوره

اعداد:

أ.د. أيمن عبدالله أحمد

2026/2025

المحاضرة الأولى : تاريخ الدرس اللساني وتطوره

أ.د. أيمن عبدالله أحمد

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية

المرحلة: الرابعة

المقدمة

تمثل الدراسات اللسانية (علم اللغة) إحدى أقدم صور التفكير الإنساني في ذاته، لأنها تسعى إلى فهم اللغة باعتبارها أداة التفكير والتواصل، وقد مرّ هذا العلم بتحوّلات كبرى، بدأت بمحاولات مبكرة لوصف اللغة وتفسيرها في الحضارات القديمة، وتطورت إلى مدارس علمية منظمة في العصور الحديثة.

تهدف هذه المحاضرة إلى تتبع تطور الدراسات اللسانية منذ العصور القديمة حتى العصر الحديث، عبر عرضٍ تحليليٍّ لأهم الحضارات والمدارس والعلماء الذين أسهموا في بناء هذا العلم، مع بيان خصائص كل مرحلة وأبرز اتجاهاتها الفكرية والعلمية.

أولاً: العصور القديمة (قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي)

1. حضارة بلاد الرافدين

تُعَدّ بلاد الرافدين (سومر، أكاد، بابل) مهداً مبكراً للتفكير اللغوي، فقد اكتشف علماء الآثار ألواحاً طينية تضم قوائم مفردات ثنائية اللغة (سومرية-أكادية)، استُخدمت في التعليم والتوثيق، كان الاهتمام باللغة عملياً في الغالب، مرتبطاً بإدارة المعابد والاقتصاد، إلا أنه مثل أول محاولة لتنظيم العلاقة بين الكلمات ومعانيها، ويمكن اعتباره أساساً لمعاجم مبكرة.

2. الحضارة الهندية

برز في الهند العالم بانيني (Pāṇini) في القرن الخامس قبل الميلاد، الذي ألّف كتابه الشهير "الأشتادهيائي" (Aṣṭādhyāyī)، ويُعَدّ أول نحوٍ وصفيٍّ متكامل في التاريخ. تميّز منهجه بالدقة الرياضية في وصف بنية اللغة السنسكريتية، واستخدامه لنظام رموز ميتالغوية متقدم. تُعد مدرسته النحوية نموذجاً مبكراً للتحليل اللساني العلمي.

3. الحضارة الصينية

شهدت الصين القديمة اهتماماً فلسفياً باللغة ضمن مناقشات "مدرسة الأسماء" (名家 Míngjiā)، التي درست علاقة الاسم بالمسمّى، ودور اللغة في التفكير والتواصل. كما ظهرت معاجم لغوية مبكرة مثل معجم شووين جيزي (Shuowen Jiezi) في القرن الثاني الميلادي، الذي صنّف الرموز الصينية بناءً على بنيتها الصوتية والرسومية.

4. الحضارة اليونانية

تُعَدّ اليونان مهد التفكير الفلسفي في اللغة. ناقش أفلاطون في محاورته كراتيلوس (Cratylus) طبيعة العلاقة بين اللفظ والمعنى، بينما تناول أرسطو في كتاب العبارة قضايا منطقية لغوية حول التصنيف والأنواع. وفي القرون اللاحقة، أسهم النحويون الإسكندرانيون والرومان (مثل دوناتوس وبريسكيانوس) في تأسيس نحو وصفيٍّ للغة اليونانية واللاتينية.

ثانيًا: العصور الوسطى (من القرن الخامس إلى القرن الرابع عشر الميلادي)

1. الحضارة العربية الإسلامية

أدى نزول القرآن الكريم إلى ازدهار غير مسبوق في دراسة اللغة العربية، إذ ارتبطت بها علوم النحو، والصرف، والبلاغة، واللغة، والمعجم.

- أسس الخليل بن أحمد الفراهيدي علم العروض، ووضع أول معجم صوتي عربي هو كتاب العين.
 - جاء بعده سيبويه بكتابه الشهير الكتاب، الذي يعدّ أعظم عمل نحوي في التراث العربي والإسلامي.
- تناولت الدراسات اللسانية عند العرب قضايا الصوت والدلالة والتركيب، وارتكزت على منهج استقرائي دقيق. كما ظهرت مدارس النحو في البصرة والكوفة وبغداد، وبلغت الدراسات اللسانية العربية ذروتها في القرون الثلاثة الأولى للهجرة.

2. أوروبا الوسيطة

في أوروبا، انحصر الاهتمام باللغة في النحو اللاتيني المرتبط باللاهوت المسيحي. كانت اللغة تُدرس كأداة لفهم النصوص المقدسة، لا كظاهرة بشرية مستقلة. ورغم ذلك، ظهرت محاولات مبكرة لتوحيد قواعد اللغات الأوروبية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، خاصة في فرنسا وإنجلترا.

ثالثًا: عصر النهضة وما بعدها (القرن الخامس عشر إلى القرن الثامن عشر)

شهدت أوروبا انبعاث الاهتمام باللغات القديمة نتيجة حركة الترجمة والنهضة الفكرية. بدأ العلماء يقارنون اللغات ويلاحظون أوجه الشبه بينها، مما مهّد الطريق لنشأة اللسانيات المقارنة في القرن التاسع عشر. كما ظهرت محاولات لتصنيف اللغات وتصميم "لغة عالمية" تُبنى على أسس عقلية ومنطقية.

رابعًا: القرن التاسع عشر - نشوء اللسانيات التاريخية والمقارنة

1. المدرسة الألمانية المقارنة

ظهر في هذا العصر فرانز بوب (Franz Bopp) ورasmus راسك (Rasmus Rask) وجاكوب غريم (Jacob Grimm)، الذين أسسوا ما يُعرف بـ"اللسانيات المقارنة". قارن هؤلاء العلماء بين اللغات الهندوأوروبية، واستنتجوا وجود لغة أصلية مشتركة. كما وضعوا قوانين صوتية دقيقة (مثل "قانون غريم")، وتبنّى النحويون الجدد (Neogrammarians) منهجًا علميًا صارمًا يقوم على ثبات القوانين الصوتية.

2. اللسانيات كعلم مستقل

بدأت اللسانيات تنفصل عن فقه اللغة والفلسفة، وأصبحت علمًا قائمًا بذاته يهتم بدراسة اللغة بوصفها ظاهرة بشرية قابلة للملاحظة والتحليل العلمي.

خامسًا: القرن العشرون - البنيوية والتوليديّة

1. المدرسة البنيوية

أسس فرديناند دي سوسير (Ferdinand de Saussure)، من خلال كتابه محاضرات في علم اللغة العام (Cours de linguistique générale)، الأساس النظري لللسانيات الحديثة. طرح سوسير مفاهيم محورية مثل:

- التمييز بين اللغة (langue) والكلام (parole).

• مفهوم العَلامَة اللغوية وعلاقتها بالدلالة. أثر هذا التفكير في نشوء مدارس بنيوية لاحقة في براغ وجنيف وباريس.

2. المدرسة الأمريكية – بلومفيلد والتوزيعية

في الولايات المتحدة، تبَنَّى ليونارد بلومفيلد (Bloomfield) المنهج البنيوي، وركّز على التحليل الصرفي والصوتي للغة اعتماداً على الملاحظة التجريبية. تميّزت هذه المدرسة بموضوعيتها وابتعادها عن التأمل الفلسفي.

3. المدرسة التوليدية – تشومسكي

في منتصف القرن العشرين، أحدث نعوم تشومسكي (Noam Chomsky) ثورة فكرية بنظريته في النحو التوليدي التحويلي، التي ركّزت على القدرات العقلية الفطرية للإنسان. فرّق تشومسكي بين الكفاية اللغوية والأداء اللغوي، واعتبر اللغة تجلياً لقدرة ذهنية فطرية.

سادساً: العصر الحديث والمعاصر (من أواخر القرن العشرين حتى اليوم)

1. اللسانيات الاجتماعية والمعرفية

اتجه البحث اللساني إلى دراسة اللغة في سياقاتها الاجتماعية والثقافية. برزت اللسانيات الاجتماعية (Sociolinguistics) مع ويليام لاوف، واللسانيات المعرفية (Cognitive Linguistics) مع جورج لاكوف ورونالد لانجر.

2. اللسانيات الحاسوبية والنصوصية

مع تطور الحواسيب، ظهرت اللسانيات الحاسوبية والتحليل الآلي للغة، التي تمزج بين اللغويات والذكاء الاصطناعي. وأصبحت النصوص الرقمية الضخمة (Corpus Linguistics) أداة رئيسية للتحليل الإحصائي للغة.

3. الاتجاهات الحديثة

تعددت المناهج المعاصرة مثل اللسانيات التطبيقية، وتحليل الخطاب، واللسانيات المعرفية الاجتماعية، مما جعل علم اللغة مجالاً متعدد التخصصات يواكب التطور التكنولوجي والمعرفي.